

اسم المادة: سورة العلق

من سلسلة: تفسير جزء عم

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: سورة العلق
من سلسلة: تفسير جزء عم
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم-.

بإذن الله -عز وجل- نبدأ اليوم أول جلسة من جلسات التفسير أو "جلسات قرآنية"، احنا مش عايزين نسميها مجلس تفسير، ونرجو أن يَصْدُق علينا قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما اجْتَمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللَّهِ يتلونَ كتابَ اللَّهِ ويتدارسونَه بينَهم إلَّا نزلت عليهِمُ السَّكينةُ وغشيتهمُ الرَّحمةُ وحفَّتهمُ الملائِكةُ وذكَرَهمُ اللَّهُ فيمن عندَه"[1]، أسأل الله -عز وجل- أن يكون المجلس ده مجلس بتحفّه الآن الملائكة، والآن بتنزل علينا السكينة والرحمة، وإن ربنا -سبحانه وتعالى- يذكرنا الآن.

سريعًا قبل أن أبدأ هذه المجالس -مجالس القرآن-؛ إن مجموعة من الناس يقعدوا في بيت من بيوت الله -عز وجل- في مسجد ويقرأوا سورة معينة، ويجيبوا أي تفسير مبسط: أيسر التفاسير للشيخ أبو بكر الجزائري، أو تفسير الشيخ السعدي، أو مختصر لتفسير الإمام ابن كثير، أو أي تفسير مبسط.

إن هما يجتمعوا في مسجد ويقرؤوا السورة ويتدارسوها مع بعض، وواحد يقول: أنا قرأت في الآية دي معنى فلاني، أو أنا قرأت في هذه الآية هذا المعنى، الطريقة اللي ممكن احنا شايفينها بسيطة جدًا دي، هذه الطريقة زَكَّاها النبي -صلى الله عليه وسلم- ويذكرها الله -عز وجل-، يعني الأحداث التي بتحصل، الطاعات اللي بتحصل كتير، نصَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- على أشياء معينة بيذكرها الله -عز وجل- فيمن عنده، فمنها: المجالس القرآنية اللي بتقام في المساجد؛ هذه المجالس هي حقيقةً فعلًا هي الوقود الحقيقي، وهي الزاد الحقيقي للقلب المنطلِق إلى الله -عز وجل-، لإن لازم يكون الغذاء هو القرآن، غذاء القلب هو القرآن.

فلما يبقى الإنسان بيقعد في بيت من بيوت الله، وبتحفّه الملائكة وبتنزل عليه السكينة والرحمة ويذكرهم الله -عز وجل- فيمن عنده، يبارَك في هذا المجلس لبركة القرآن؛ لأنه كلام الله -عز وجل-، فالمجالس دي بتبقى مجالس مُبَارَكة؛ مش عشان المتكلم فيها شخص معين، أو المسجد مسجد معين، أو المستمعين اللي بيستمعوا للمجلس، أو حتى هما لو مفيش مستمع ده هما كلهم بيتكلموا مع بعض وبيستمعوا لبعض كلهم، "وَتَوَاصَوْا" العصر:٣، صيغة التواصي إن كله بيوصي بعضه، هذه المجالس مباركة لبركة القرآن.

فهذه المجالس نرجو إن ربنا -سبحانه وتعالى- يكتَب لها القبول وإن هي تنتشر في الأرض، وإن نرجع تاني كان زمان الصحابة لما يجلسوا مجلس مع بعض وسيدنا عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري: "ذَكِّرْنا ربَّنا"[2] فيقرأ أبو موسى الأشعري القرآن.

---

[1] صحيح مسلم
[2] صحيح ابن حبان

وكان سيدنا عمر بن الخطاب يجمع أهل المشورة، ويجمع كبار أهل بدر، ويجمع كبار الصحابة عشان يتناقشوا في الآيات، يسأل في مرة عن: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" النصر:١، ويسأل في مرة عن آيات من سورة البقرة، ويسأل في مرة في آيات أخر، وتتعدد الأجوبة ويوصلوا لرأي في هذه الآيات، كانوا يتدارسوا القرآن.

فبإذن الله –عز وجل– نبدأ مجلس مع بعض في سورة العلق، ويكون الأَولَى والأفضل إن احنا كل مرة مثلًا نحدد السورة اللي هنتكلم فيها بحيث إن أنت طوال الفترة دي بتقرأ في تفسيرها، بتصلي بيها، بتراجع حفظها، بترجع تاني تُقِيم علاقة مع هذه السورة مرةً أخرى؛ لأن أنت لما بتترك سورة من سور القرآن فترة طويلة بتجف العلاقة بينك وبين السورة، العلاقة اللي بينك وبين السورة بتجف، في آخر مرة مثلًا صليتَ بسورة فاطر امتى؟ وآخر مرة قرأت تفسير سورة سبأ امتى؟ وآخر مرة فتحت المصحف وقعدت تبص على معاني سورة الأحزاب امتى؟ فالواحد من كتر بعده عن القرآن بيجف، فالإنسان بيعجب ازاي الإنسان قلبه هيعيش وهو بعيد عن القرآن!

لأنها البداية:

فنبدأ بإذن الله –عز وجل– سريعًا كدا وقفات مع سورة العلق، والكلام في سورة العلق كلام الواحد لما بدأ يبص الناس اللي كتبت في سورة العلق أو عملت شرايط عن سورة العلق وجد اهتمام بالغ من العلماء والمفسرين بهذه السورة، اهتمام بالغ من العلماء والمفسرين والدعاة بسورة العلق، ليه؟ لأنها البداية، ولابد أن يكون الإنسان لابد أن تكون بدايته صحيحة، لازم تكون بدايتك صح عشان تعرف تنطلق صح، فلو تخيل إنسان من البداية وماشي غلط فمستحيل هيصل، إنما الإنسان لما يبدأ صح والطريق من الأول مسدد وموجه يصل بإذن الله –عز وجل–، إنما من الأول ماشي في طريق غلط لن يصل، فسورة العلق أهميتها لأنها البداية، ومهما فكر الإنسان ازاي تكون البداية بعقله لن يصل.

فالقرآن بيعلمك ما لم تعلم، وبيبصرك ما لم ترى، فلما بتبدأ تنظر إلى العالم، وإلى نفسك، وإلى صفات الربوبية من خلال سورة العلق بتشوف الناس صح، وبتعرف نفسك صح، وبتقدِّر وبتبدأ تفهم يعني ايه ربوبية؟ ويعني ايه الرب؟ وايه أول علاقة بين الإنسان وبين الرب؟ بين الخالق –سبحانه وتعالى– وبين المخلوق؟ فتبدأ السورة تخليك تشوف صح.

نبدأ مع بعض سورة العلق سريعًا كدا: بسم الله الرحمن الرحيم

"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ *كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى" العلق١:٦.

هذه الآيات لغاية قبل "كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى" نزل بها جبريل لأول مرة على النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال له: اقرأ، قال: "ما أنَا بقَارِئٍ"[٣]، فضمه حتى بلغ منه –صلى الله عليه وسلم– الجهدَ، ثم أرسله فقال: اقرأ، قال: "ما أنَا بقَارِئٍ"، فكرر ذلك ثلاثًا حتى قال له: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ".

الانطلاق والوصول إلى الله:

نقف سريعًا وقفات مع أول آية دي، أول شيء أن أول كلمة بدأت "اقْرَأْ"؛

[٣] صحيح البخاري



قيل: اقرأ القرآن؛ وكأن البداية في علاقتك بالله –عز وجل– هي في قراءة القرآن، لأنك أنت هتوصل لربنا ازاي؟ ما هو أنت نفسك ترضي الله –عز وجل–، ونفسك تفهم تعمل ايه، وايه هي الحقائق الكونية العظيمة الموجودة، كل ده موجود في القرآن، فتخيل الإنسان من غير القرآن فعلًا إنسان أعمى، فلو إنسان بدأ بدون اتصال بالقرآن هيبقى إنسان تائه، ينظر ويُقَدِّر الأشياء على غير قيمتها، يُغَر في الأشياء، يبدأ يُغرَ في الأشياء، مش عارف قيمة الأشياء.

فأول شيء، أول وقفة معانا في السورة: قضية القرآن، وأنه لا وصول لك بدون القرآن، مش وصولك هيتأخر؛ لا وصول لك إلى الله –عز وجل– بدون القرآن، الفوائد كتير فاحنا بنجمَّع الفوائد سريعًا مع بعض.

ثانيًا: إن السورة بدأت بأمر "اقْرَأْ" مبدأتش "سنقرئك" مثلًا، فلازم الإنسان يفهم إن عشان ينطلق إلى الله –عز وجل–، تجد إن السورة مفادها: "اقْرَأْ"، و"لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ"، مفاد السورة أنك تطلع بها كأوامر تنفذها، فيه أوامر وفيه منهيات، فالإنسان اللي مش هيبدأ ينفذ اللي بيتقاله من الأول مش هيوصل، يعني "اقْرَأْ" دي سلم، "قُمْ فَأَنْذِرْ" سلم، "قُمِ اللَّيْلَ" سلم، معراج بيصعد بيك، لو مش هتطبق الأشياء دي مهما بقى قعدت تفكر أو تتمنى لا وصول لك.

يعني لما ربنا قال لسيدنا موسى: "أَنَا اخْتَرْتُكَ" طه:١٣، قال: "فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ" الأعراف:١٤٤، لما ربنا قال لمريم: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" آل عمران:٤٢، قال: "يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ" آل عمران:٤٣، يبقى كل تشريف معاه أمر، لما يجي تشريف معين ده مش معناه أنك وصلت خلاص لا ده معناه زيادة الأوامر اللي عليك.

فالبداية بدأت بـ "اقْرَأْ" إنك لازم تتقرب بالشبر، قال الله –عز وجل– في الحديث القدسي: "وَمَن تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا"[٤]؛ يبقى أنت اللي بتاخد الشبر الأول.

دايمًا مشكلتنا في الشبر الأول؛ لأن ربنا بيقول: "من تَقَرَّبَ إِليَّ شبرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذراعًا" فأنت عندك ذراع سهل، ذراع من الطريق إلى الله –عز وجل– مستنير، فيه سهولة؛ لأن فيه معية ربنا، فتمشي في الذراع ده بسهولة فتتقرب الذراع يتقرب الله إليك باعًا، تمشي في الباع، تبدأ تمشي يأتيك الله هرولة، تبدأ تجري أنت في الطريق، فكل الطريق سهل ما عدا أول شبر لابد فيه من بذل ومشقة "فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ" البلد:١١، لازم فيه عقبة في الأول بتقتحمها، بترمي نفسك فيها.

فالشبر بدأ بـ "اقْرَأْ"، وبعدين: "قُمْ فَأَنْذِرْ"، وبعدين: "قُمِ اللَّيْلَ"، فهذه الأوامر لابد إن الإنسان يطبقها، الأوامر دي مش جاية عشان مجرد إن هي تُتلى، لأ تتلى وتُطبق.

فتخيل أول آية في القرآن: أمر، اعمل كذا، كتير من الناس مش عايز يسمع كلمة اعمل وماتعملش، يعني هو عايز حتى لو هيسمع مش عايز يطلع بأعمال، هو عايز يطلع بكلام، لأ، فأول شيء في القرآن أمر.

تاني شيء: إن أول شيء في القرآن أمر لا يستطيعه النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ قال: "ما أَنَا بِقَارِئٍ" فلما يُطلب منك أشياء أنت معملتهاش قبل كدا متقولش مش هينفع، فكان الحل ايه؟ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" أنك تستعين بالله حتى لو متعرفش.

لما يقولك اشتغل في الدعوة، يبقى تستعين بالله وتبدأ تبذل الأسباب؛ لأن عندنا بعد كدا "عَلَّمَ بِالْقَلَمِ" القلم ده سبب، يبقى لابد للإنسان حتى لو طُلب منه أشياء مبيعملهاش قبل كدا، مانقلوش صل قيام الليل، يقولك أصل أنا مصلتش قبل كدا، اقرأ قرآن، أصل صعب، اطلب

[٤] صحيح مسلم

العلم، أصل معرفش، ادع إلى الله، أصل معرفش، لأ، فأول أمر نزل أو أول كلمة نزلت على النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر لا يستطيعه النبي –صلى الله عليه وسلم–.

احنا قولنا البداية كانت بـ "اقْرَأْ"، كان المتوقع إن البداية تبقى بـ "قُمِ اللَّيْلَ"، أو "قُمْ فَأَنْذِرْ"، لأ "اقْرَأْ" قبل "قُمِ اللَّيْلَ" و"قُمْ فَأَنْذِرْ" ليه؟ ليه البداية بـ "اقْرَأْ" قبل "قُمِ اللَّيْلَ" و"قُمْ فَأَنْذِرْ"؟ البداية بالتلات أوامر دول؛ هما دول أركان الإنسان المسلم الصالح المصلح، تلات أركان:

١–يقرأ، يتعلم كتاب الله –عز وجل– وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

٢–يدعو إلى الله.

٣–يقوم الليل.

ليه البداية بـ "اقْرَأْ" قبل "قُمِ اللَّيْلَ" و"قُمْ فَأَنْذِرْ"؟ احنا أشرنا إنه عشان يمشي صح، لأن أنت هتدعو إلى الله –عز وجل– من غير قرآن هتضل، هتضيع، أنت حتى لو قمت الليل وقلبك انشغل عن معاني القرآن، بعض الناس –للأسف– قيام الليل يطغيه، وزي ما ابن القيم اتكلم عن إن أحيانًا الإنسان وكتير من السلف لما كان بيقول: "أن يبيت نائمًا ويصحو نادمًا أحب إليه من أن يبيت قائمًا ويصحو معجبًا" يعني: يصحى الصباح يستيقظ معجبًا أو يُصبح معجب بقيامه ده أسوأ من إن هو لو كان راحت عليه نومة وقام ندمان على تقصيره بين يدي الله –عز وجل– كان أفضل له إن هو يصحى ندمان، فالشاهد أن البداية بـ "اقْرَأْ" هو اللي بتديك النور في كل حياتك بعد كدا؛ اللي هو قراءة القرآن، وزي ما بوّب الإمام البخاري: العلم قبل القول والعمل، "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ" محمد:١٩، يبقى لابد إن الإنسان لما يقرأ بيتعلم من خلال القرآن، يبقى أول شيء احنا قلنا: البداية بالأمر.

تاني شيء: طب أنا مقدرش؛ "بِاسْمِ رَبِّكَ" تستعين بالله –عز وجل–، وتذكر اسم الله –عز وجل– على كل شيء، على الصعب وعلى السهل، النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يقول: "اللَّهمَّ لا سَهْلَ –مفيش حاجة سهلة– إلَّا ما جعلتَه سَهلًا"[٥] يعني حتى حفظ الآيات الصغيرة دي مش سهل إلا أن يُسهله الله –عز وجل–.

فقضية اقرأ أو أي أمر من أوامر الدين بيبدأ القرآن يعلمك في أول آية في القرآن إن أي شيء لابد أن تستعين فيه بالله –عز وجل–، وأن تذكر اسم اللَّه –عز وجل– عليه، وأن تستحضر دائمًا معية الله –عز وجل– لك أثناء السير في الطريق إلى الله –عز وجل–، لازم وإلا زي ما قولنا هتَنسب الأشياء إلى قدرتك، وإذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ** كان أول ما يجني عليه اجتهادهُ.

لو ربنا ماأعنش الإنسان أول حاجة تضَيَّع الإنسان: عقله ودماغه واجتهاداته لو سار بعيدًا عن الله –عز وجل–.

اعرف نفسك واعرف ربك:

"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ": هنا بدأ الكلام عن الربوبية، وعن صفة الخلق لله –عز وجل– من صفات الربوبية، ليه مقالش "اقرأ باسم الرحمن الرحيم"؟ ليه من الأول في هذا الطريق الطويل اللي بدايته كانت "اقْرَأْ" والنبي –صلى الله عليه وسلم– بيحاول أن يسجد عند الكعبة وأبو جهل بيقوله: "لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذلكَ –محمدًا يُعفر وجهه بين أظهركم– لَأَطَأَنَّ على رَقَبَتِهِ"[٦]، هذا البداية إلى الطريق الطويل الذي انتهى بـ "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا" النصر١:٢، الطريق الطويل ده بدأ "بِاسْمِ رَبِّكَ"، ليه الربوبية وليه الخلق؟ لو جينا نشوف كدا أول ٥ آيات أو أول ٦ آيات: هنلاقي فيها إن كلمة "رَبّكَ" جت مرتين، وكلمة "الْإِنسَانَ" جت مرتين في أول ٥ آيات وأول ٦ آيات يبقى جت ٣ مرات، و(الخلق) جت مرتين، خلاص، كأن البداية: اعرف نفسك واعرف ربك، والبداية دي اللي بيبدأ من

[٥] الصحيح المسند
[٦] صحيح مسلم.




غيرها زي ما قولنا بيضل، اللي مش بيبقى عارف قيمة نفسه أد ايه هو فقير، أد ايه هو ضعيف، أد ايه هو محتاج، اللي مبيبدأش البداية دي ومبيعرفش أد ايه ربنا قدير، أد ايه ربنا –سبحانه وتعالى– يخلق من العدم، أد ايه ربنا –سبحانه وتعالى– له فضل على الإنسان وهو الذي رباه بنعمه؛ هي دي البداية.

كأن بداية القرآن: "اعرف ربك واعرف نفسك"، لازم تعرف الحقيقة دي، اعرف إن الناس كلهم علق، اعرف إن ربنا جابهم كلهم من عدم، اعرف إن ليك رب بيربيك بالنعم، يعني أنت بتربو يعني أنت بتزيد في كل حاجة؛ في جسمك وفي مشاعرك وفي أفكارك وفي فَهمَك وفي قوتك وفي أموالك، أي شيء، النمو اللي بيحصل ومش أنت بس، الكون كله "وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ" الذاريات:٤٧، كل الكون بيربو برعاية الله له، إن ربنا –سبحانه وتعالى– ربه، عشان كدا بتقول "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الفاتحة:٢.

ربنا خلق الكون ده بصفات معينة، من هذه الصفات إن للكون سُنة بيكبر تدريجيًا، يعني الإنسان لما بيتولد بيقعد ٩ شهور بيبدأ الأول منيّ مع البويضة، بعد كدا العلقة تتمسّك، تمسك العلقة في جدار الرحم وتبدأ تكبر، مضغة تتخلق، والعظام يكسوه اللحم، وبعدين ينزل أنت مستني ٩ شهور مش هينزلك واحد في ستة ابتدائي مثلًا، مش هينزل يجري، لأ ده لسه، أنت مستني ٩ شهور بقى معتقد بقى إن خلاص، وهو ده على فكرة الإنسان الملتزم يعني ممكن يفتكر إن هو ايه قاعد بيجاهد بقاله ٩ شهور إنه خلاص بقى، إن هو بقى ينطلق، لأ؛ الإنسان فُطِر إن هو بيربو إلا أن يشاء ربي شيئًا.

فتخيل إنسان بينزل ولسه يحتاج يرضع، ولسه بيبكي ولا يتكلم، ومبيعرفش يمشي، ويبدأ يزحف، النبتة تبقى بذرة وتبدأ تطلّع الجذور والساق والأوراق وتكبر، فالكون كله بيربو، ليه ربنا خلق الكون كدا فيه صفة التدرج دي؟ إن الشمس مش تيجي مرة واحدة وتقفل مرة واحدة، يعني تخيل كدا احنا قاعدين فجأة الشمس طلعت، وبعدين مثلًا الساعة خمسة، خمسة وعشرة، خمسة وتلت فجأة الشمس غابت، مبيحصلش كدا، يبقى فيه نوع من التدرج.

التدرج ده ليه؟ من حكمة التدرج في الكون كله في النمو ده، أنه يظل يحتاج إلى الله –عز وجل– في كل لحظةٍ من لحظات حياته، طول ما أنت بتكبر أنت محتاج لربنا، طول ما قلبك بيدق، طول ما الكِلية شغالة، طول ما الرئة شغالة، طول ما الخلايا بتاعت جسمك بتنمو، طول ما البذرة بتكبر وتبقى نبتة وبعدين شجرة، طول ما السماء بتتمدد، كل ده يحتاج إلى الله –عز وجل– في كل لحظة من لحظاته، فالكون كله لا يستغني عن ربه لحظة واحدة.

عشان الإنسان بمجرد ما يشعر –يظن جاهلًا خاطئًا مخطئًا– يظن أنه استغنى في مرحلة من المراحل، لو ظن ولو للحظات بالاستغناء هيطغى، يعني الإنسان وهو في بطن أمه يحتاج إلى ربه، وهو رضيع يحتاج لربه، فدي ممكن تبقى واضحة آه لأن هو محدش هيوصله وهو علقة ومحتاج لربنا ولسه رضيع، طب لما يبقى شاب وبلغ أشده وبلغ ٣٠ سنة وراجل معاه شهادات ومعاه أموال أيضًا يحتاج إلى ربه، هو طوال رحلة حياته والكون كله هو أشبه بالعلقة يتعلق بالله –عز وجل–، الكون كله طوال زمنه يحتاج إلى ربه –سبحانه وتعالى–، ماتسقطش ورقة إلا بإذنه –سبحانه وتعالى–، كل شيء يحتاج إلى ربه –سبحانه وتعالى–.

فالبداية برب العالمين "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ"، ومن صفات الربوبية الكتير صفة الخالقية، ليه صفة الخلق؟ ليه الكلام دايمًا في البداية على الخلق؟ أصل طبيعي الإنسان العاقل لما يروح في أي حتة يسأل: أنا ايه اللي جابني هنا؟ ده سؤال منطقي، لما يبص كدا، طبيعي إن الإنسان لما يبدأ ينظر يقف بس ٣ دقائق يبص على ذراعه وعلى قلبه وايده ورجله والشمس يبدأ يسأل، أول سؤال منطقي يقول: مين؟ مين أداني دا؟ من أداني ايدين؟ مين أداني رجلين؟ مين جابني هنا؟ مين خلقني؟ ده طبيعي، أنت بتدخل بيتك وتلاقي حاجات جديدة أول سؤال بتسأله قبل ما تسأل ايه الحاجة؟ مين اللي جابها؟ تخيل أنت مروح دلوقتي البيت لقيت البيت مليان أكل وشرب وهدوم وكل اللي أنت عايزه، كل ما تتمناه



وجدته في بيتك، مش منطقي جدًا أنك تدخل تقوم مغير ولابس الهدوم الجديدة وواكل وداخل نايم عادي، ده مش منطقي أبدًا، يعني ده –أعزكم الله– دي أخلاق الأنعام، تدخل تلاقي أكل تاكل مفيش مشـــكلة، مبتقعدش تفكر ايه دا؟ ايه اللي جاب الأكل ده هنا؟ إنما ربنا بيقول: "فَلْيَنظُرِ الْإِنسَـانُ –البني آدم ينظر الأول إلى ايه– إِلَى طَعَامِهِ" عبس:٢٤، ده طبيعي، مش بيتحط له أكل يقوم داخل واكل وماشـي وخلاص، جه لقى ايدين ورجلين قام شغال وخلاص، لأ، الطبيعي أنه يقف يسأل.

فالفطرة الطبيعية لما تضغط عليها بصفة الخلق تستجيب، ده طبيعي، عشان كدا الكفار كانت البداية معاهم بالضغط عليهم "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ" الزمر ٣٨، كانوا يقولوا ربنا، فتبدأ تقولهم بقى هو (بما أن ... إذًا)، هو اللي خلق إذًا له الأمر "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ" الأعراف:٥٤، لما تفسد فِطَر الناس تيجي تقوله مين اللي خلق؟ يقولك معرفش. ده ضايع! ده ده محتاج بقى ايه من قبل الأول، إنما الكفار المشركين أعتى الناس وبالطبع اليهود والنصارى ودول كانوا أعداء الإسلام؛ تسأله مين خلق؟ يقول: ربنا، تبدأ تكمل، فبدأ الغرب دلوقتي عايز يمسح من الناس ذكر الخلق، طغيان الأسباب اللي وصل له الناس اعتقد أنه ممكن يعمل كل حاجة، إن هو يكتشف سر الحياة، إن يطلعوا في الكون يقولك بنبحث عن مكان آخر نعيش عليه غير الأرض، حتى بدأوا يسموه "غزو الفضاء" غزو ليه؟ مش اكتشاف، خد بالك من التعبيرات، الإنسان لما يبعد عن الاتصال بالله وبالقرآن يكون عدائيًا، غزو، غزو ليه؟ أنت بتغزو مين؟ أنت بتعادي اللّه قصدك؟ تغزو الفضاء؟ أنت ليه ناسي إن ليك رب؟ ليه ناسي إن ليك رب هو اللي خلق كل شيء.

يعني أنا شوفت فيلم تسجيلي علمي بيشرح الكون والمجرات والمسافات والكواكب، فيلم مبهر، أنت طول ما أنت بتتفرج على الفيلم عمال تقول: سبحان اللّه، غصب عنك، إجبار، فتلاقي الراجل اللي عمال يشرح في آخر الفيلم بعد ساعة ونصف يقول ايه؟ "ولا نعلم من الذي أتى بهذه الأشياء، ولا نعلم ايه اللي هيحصل؟ ولا كيف أتينا؟ ولا كيف كانت البداية؟ ولا ايه اللي هيحصل" يا نهار أبيض، مش عارف! مش عارف! أنت لو سألت طفل صغير على الفطرة يقولك: ربنا، أي حد تعالى يا عم محمد مثلًا يقولك: ربنا، أي حد تسأله، وعلماء في الفلك، فطغيان الأسباب، وهنا لما نيجي نبص كدا، نبص على المعادلة دي:

"الَّذِي خَلَقَ" يبقى دي القدرة المطلقة، "خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ" بالنسبة للإنسان العلق ده العجز المُطلق، ما هو العلقة دي يا جماعة ده شيء كدا حتة لحم متعلقة في جدار الرحم، والسوائل والدم بينزل وهو في لحظة مُعَرضَ إنه ينفك وينهار وينزل.

شوفت مشهد كدا مشهد واحد اترمى في شلال، وشلال جارف والشلال عمال يخبط يمين وشمال وبعدين لقى حتة شجرة طالعة قام ماسك فيها، وفي لحظة الشجرة عمالة تبدأ تفك وحظه بقى جه أي حاجة بدأت تأكل في الشجرة، عارفين أنتو المشاهد الدراما دي والإثارة دي، وعمال يتفرج على الشجرة وهي بتتفك، هو ده الإنسان! متعلق، علقة في كل حاجة، يعني في كل خطوة من خطوات حياته هو كدا، بس هو أحيانًا غطاء الأسباب بيعميه، فالعلق: ده العجز المطلق، فالإنسان عاجز.

طغيان الإنسان العاجز الضعيف عند استغنائه عن الله القدير الكريم:

"الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ" ربنا كريم، "الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ" الإنسان جاهل، طب عندنا معادلة: الإنسان عاجز، الإنسان جاهل، الله قدير، الله كريم، كان المتوقع الإنسان يطيع ربه، تُفاجأ إن الآية رقم ٦ بعد المقدمات الخمسة دي "كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى"، ده الإنسان دا! مش ممكن ايه دا، ايه الدنو ده في المعاملة! ايه دا، عاجز جاهل!

"خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ" النحل:٤، إذا دي بيسموها في اللغة "إذا الفجائية"، "مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ"، عارف ابنك مثلًا أنت معملتلوش حاجة "أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ" الواقعة:٥٩، ابنك بقى أنت عمال جبت له البامبرز ورضعته وتصرف عليه وتوديه حضانة وتدخله ابتدائي ويجي عايز شنطة وعايز جزمة وعايز مش عارف ايه وتقعد وتطلع، فلما اشتد ساعده رماني، تخيل أول لما يبدأ يكْبُر يبدأ يطغى عليك، ومايعبركش ويقسو عليك، ايه دا! تبقى أنت عايز تقول على الشخصية دي ايه! فتخيل لما الإنسان يعمل كدا مع ربه، دي البداية معقول!



"بزقَ النَّبيُّ –صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ– في كفِّهِ، ثمَّ وضعَ أصبعَهُ السَّبَّابةَ وقال: يقولُ اللَّهُ –عزَّ وجلَّ–: أنَّى تُعجِزُني ابنَ آدمَ وقد خلقتُكَ من مثلِ هذِهِ"[٧] أنسيت؟ معاك ايه؟ ايه اللي أعماك؟

عشان كدا "كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى" شوف التأكيد الإنسان ٣ مرات: "خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ" يبقى الإنسان من علقة، "عَلَّمَ الْإِنسَانَ" يبقى الإنسان جاهل، كان المتوقع الإنسان يطيع "كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى" ايه دا؟ ايه المفارقة الرهيبة بين المقدمات والنتائج؟ ايه المفارقة الرهيبة دي! نسي أنه خُلق من عدم، نسي أن ربه أكرمه، نسي حينما كان نطفة، كان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أي شيء حتى الهواء، ميعرفش يعمل حاجة لنفسه، فالضغط على الفِطَر بصفة الخالقية تخلي الفطرة اللي فيها بقايا فطرة سليمة تستجيب.

فالبداية في القرآن بدأت بالخلق عشان كدا.

وأيضًا الخلق يخليك مع ربنا مش خايف من حاجة، الخلق بيديك يقين في قدرة الله، الخلق بالذات يعني الرحيم واللطيف والرؤوف كل دي صفات بترحمك، أو فيه لطف، أو فيه حاجات مخلوقة، ربنا بيرحمك بحاجة معينة بسبب معين، الخلق هو الإيجاد من عدم، حاجة مش موجودة وربنا جابها، لا يستطيعها إلا الله؛ عشان كدا لما سيدنا زكريا قال: "أَنَّىٰ" مريم:٨، قال: "وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ" مريم:٩، فكره بالخلق، كلمه عن صفة الخلق، لما تعجَّب زكريا ازاي يجيله ولد وامرأته عاقر وبلغ من الكبر عتيًا، قال: "وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا" فالتذكير بصفة الخلق.

صاحب الجنتين شاف الجنات والأنهار والنخيل والعنب والأشجار "قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا" الكهف:٣٥، معايا أسباب، الأسباب دي لا يمكن تروح أبدًا! قال: "أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ" الكهف:٣٧، أنت نسيت أصلك؟ أنت جاي منين؟ الحاجات دي جت منين؟ أين خالقها؟ أين مبتدِئ خلقها ونشأتها، فين؟

وبعدين شوف الجمال "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" خلق هنا قالوا: المفعول محذوف يعني خلق كل حاجة، وبعدين "خَلَقَ الْإِنسَانَ"، طب ما كان ربنا قال "الَّذِي خَلَقَ" والإنسان مِن ضمن اللي ربنا خلقه؟ ليه التركيز على الإنسان؟ كأن فيه عناية خاصة بخلق الإنسان، وكأن اللي خد العناية الخاصة هو اللي طغى!

يعني كان من المتوقع ربنا خلق كل حاجة، وخلق الإنسان بعناية خاصة "تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" ص:٧٥، حاجة خاصة، نفخ فيه من روحه –سبحانه وتعالى–، العناية الخاصة دي كانت تستوجب مزيد شكر، إنما الكون كله يقول: "أَتَيْنَا طَائِعِينَ" فصلت:١١ والإنسان اللي خد العناية الخاصة يطغى! ايه المفارقات العجيبة دي!

"خَلَقَ الْإِنسَانَ" كمال العناية، "مِنْ عَلَقٍ" أصله، و"خَلَقَ الْإِنسَانَ" يعني كل الناس، فلما تيجي تبص على الوزير والرئيس وفلان والطبيب والمهندس كلهم عَلق! ودي مقدمة عشان لما تيجي تتعامل مع أمثال أبي جهل اللي هيجي الوقت، أبو جهل اللي منع، هيجي معانا في الآيات، فتيجي تتعامل مع أمثاله تعرف إن أصله علقة، فتعامله على قده، تديله حجمه الحقيقي.

القرآن يبصرك بحقيقة الأشياء:

احنا قُلنا القرآن بيخليك تبصر الأشياء على حقيقتها، فتدي لفلان حجمه؛ عشان كدا سيدنا موسى يقول لبني إسرائيل: أنتوا خايفين من فرعون واللي معاه؟ "عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ" الأعراف:١٢٩ يشيله ويجيبكم مكانه، ده عند بني إسرائيل ازاي يعني؟

[٧] صحيح ابن ماجه



عاد قالوا: "مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً" فصلت:١٥ ربنا أهلكهم بايه؟ بهوا، بشوية هوا، معرفش يقف قدام شوية هوا، فالإنسان بيطغى، أنا قرأت أثر مضحك في الطبري –من الإسرائيليات– إن سيدنا موسى وهو معاه بني إسرائيل وبيجروا فضرب البحر ففُلِق البحر، فدخل موسى وبني إسرائيل، أنا متوقع إن فرعون أول لما يشوف المشهد ده يقول: اللّه، ايه دا، ويقول بقى: آمنت، فرعون لما شاف المشهد ده التفت إلى جنوده وقال: ألا ترون البحر فُلِقَ فَرَقًا مني؟ شايفين؟ طب ما هو اتفلقَ لموسى قبلك! كأنه من شدة خوفه من بدري من مسيرة شهر! ايه دا، ايه الغباء دا! العجيبة إن اللي معاه صدقوه ومشيوا، يعني أنا مش متخيل!

الواحد لما بيقرأ في سورة الزخرف فرعون بيقول ايه في الآيات: "أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي" الزخرف:٥١، هو دلوقتي لما بيقولوا إن موسى نبي فبيقولهم –شوف بقى الخطاب العقلي اللي بيقنعهم فرعون– بيقولهم: "فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ" الزخرف:٥٣ هو بيعمل مقارنة، بيقولهم: "أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ" الزخرف:٥٢:٥٣، أنا حاسس إن ده خطاب أطفال، بيضحك على شوية عيال، بيقولهم آه لو كان معه ذهب، العجيب إن الآية اللي بعدها إن الناس بتصقف! "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ" الزخرف:٥٤، ده صدقوه! ايه دا! صدقوا الكلام دا! يعني أنا مش متخيل، صدقوا الكلام إن أسورة ذهب تنزل! صدقوا الكلام دا! "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ –استخفهم وهما كانوا خِفاف العقول– فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ".

فالشاهد؛ أن القرآن بيبصرك، تعرف حقيقة عاد وفرعون وأي أمثال أبي جهل، حقيقتهم علق، وتعرف قدر من تَعبُد وإلى من تسجد، ومن أنزل عليك القرآن إنه "الَّذِي خَلَقَ" قدرة مطلقة، يفعل ما يشاء في الكون، عشان كدا سيدنا إبراهيم شايف النار ومش خايف، اللي خلقها يطفئها، الموضوع عنده هو خلاص رأى الأشياء على حقيقتها.

"خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ" يبقى أنت كنت ممتنع عن القراءة عشان حاجتين: عشان عجزك؛ عشان أنت عاجز، وعشان أنت جاهل، فربنا بيقولك: ربنا قدير وربنا كريم، فاسلك هذا الطريق، تخيل أنت ماشي في طريق ربك الذي لطالما رباك بنعمه –سبحانه وتعالى–، ربك قدير وربك كريم، لما ربنا قال لسيدنا موسى: "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" طه:٢٤، في سورة طه، فسيدنا موسى طلب طلبات: "رَبِّ اشرَح لي صَدري * وَيَسِّر لي أَمري * وَاحلُل عُقدَةً مِن لِساني * يَفقَهوا قَولي* وَاجعَل لي وَزيرًا مِن أَهلي * هارونَ أَخي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي" طه٢٥:٣١، فلما طلب الطلبات دي فربنا بيقوله: "قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَلَقَدْ مَنَنَّا" دي مش أول مرة "وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ" طه٣٦:٣٩، يبقى الذي طالما رباك بنعمه، يعني ربنا ابتدأ النعم عليك وأنت معملتش حاجة، وأنت لسه معملتش أي حاجة، أفلا يتم نعمته عليك وأنت تطيعه؟

يعني ربنا لما بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى" الضحى٦:٨، مش دي أنت كنت لسه أنت معملتش حاجة وربنا ادهالك، فلما تعمل هيديك طبيعي، فالذي رباك بنعمه من قبل أن تفعل شيئًا أفلا يتم نعمته عليك وأنت تطيعه؟!

"اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ" توكل أنت بس على الله وربك كريم.

"الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" بعضهم أشار إن معاملة ربنا قد تكون بأسباب، وقد تكون بغير أسباب.

"عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ *كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى" عِلْمٌ بدون افتقار، طغيان!

هنا الآيات بتتكلم عن العلم "عَلَّمَ الْإِنْسَانَ" اللي هيتعلم العلم وهذا العلم لا يزيده سجودًا ويزيده اقترابًا، زي ما في آخر السورة؛ السورة بدأت بـ "أقرأ" وختمت بـ "وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ"، يبقى اللي بيقرأ بيسجد ويقترب، اللي بيتعلم بيزداد "إِنَّما العِلمُ الخَشْيَة" زي ما قال ابن مسعود، "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" فاطر:٢٨، يبقى العلم الذي لا يزيدك خشية يزيدك طغيان –والعياذ بالله–.



سبب وعلاج الطغيان:

"عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى" ليه الإنسان بيطغى يا جماعة؟ ليه تشوف أفعال الإنسان إنه يطغى في علاقته بالله، ايه السبب الرئيسي؟ "أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى" العلق:٧.

"رَآهُ" الهاء دي عايدة على مين؟ لو عايزين نشيل الهاء –الهاء ده ضمير– عايزين نشيل الهاء دي ونحط اسم مش ضمير، أيوه، رأى الإنسان نفسه يعني: شاف نفسُه، بمجرد ما تبصر بس وتعتقد في قدراتك هتبدأ تطغى!

شوف مثلًا واحد مريض على السرير يا رب يا رب يا رب، أول ما رجله بس بره المستشفى، لأ ده هو لو كان نايم وبدأ يقعد يبدأ ينسى؛ ينسى الاحتياج، أول ما يحس بالاستغناء بالصحة أو الاستغناء بالمال يبدأ يطغى، غشاوة الأسباب اللي بتخلي الناس تطغى، المشركين في نص البحر قالوا: يا رب، المشركين أما جم في نص منتصف البحر قالوا: يا رب، لما فقد الأسباب قال: يا رب، فطبيعي إن أي حد بيفقد الأسباب بيقول: يا رب، إن بقى فيه ناس تدخل نص البحر ومتقولش يا رب دي مصيبة تانية، ده زي لما تيجي تسأله مين الذي خلقك؟ يقولك معرفش، دول شواذ بالفِطَر أصلًا، فطبيعي إن الإنسان لما يبيعد عن الأسباب بيفتقر، ربنا بيقولك: لابد أن تنظر إلى الأسباب على أنها لا تساوي شيئًا إلا بالله، لازم، مش معنى شوية عضلات إنك تفتري، لأ، الموضوع مش كدا، فلازم الإنسان مايطغاش بالأسباب "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى" السبب الرئيسي: "أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى".

الإنسان ده بقى تذكره بايه أو هو يرجع ازاي؟ "إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى" العلق:٨، لازم يفتكر إن يوم هيرجع لربنا، خد بالك "إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى" دي خطاب للإنسان الطاغية، وخطاب للإنسان اللي هو بقى في الأول أهو إنسان فقير جاهل عاجز، بادئ يجاهد، وبادئ يتقرب الشبر إلى الله، فالمجاهدة دي ربنا بيقولك أنت هترجع لربنا، وهيعطيك ثواب كل خطوة خطتها "وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا" النساء:١٢٤، ولا قِطمِيرا، مفيش حاجة هتُظلَمها.

"إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى" ربنا بيقولك، الإنسان اللي بيطغى ده افتكر إن فيه يوم هترجع لربنا، وهتتسأل، هذا الإنسان الذي طغى، فعلاج الطغيان: تذكُر الدار الأخرة.

أعداؤك يرقبونك:

"إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى" العلق٨:١٠، من أول سورة في القرآن وربنا بيعرفك إن الطريق ده الناس مش هتسيبك تمشي فيه، ربنا من أول سورة بيعرفك إن فيه أعداء قاعدين لك على الطريق، والأعداء دول مش مثلًا لما تيجي تدعو إلى الله هيمنعوك أو لما تيجي تطلب العلم هيمنعوك، أو لما تيجي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر هيمنعوك، لا لا ده بمجرد أن تصلي هيمنعوك.

"أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا" ايه؟ مش عبدًا صلى "عَبْدًا إِذَا صَلَّى" يعني بمجرد ما يبدأ يصلي هيبدأوا ينهوك عن الصلاة، فيه أعداء قاعدين لك مستنين لحظة دخولك إلى المسجد يمنعوك، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ الشَّيطانَ قعدَ لابنِ آدمَ بأطرُقِهِ –كلها–"[8] قاعد لك، بأطرقه ايه؟ كلها، مش قاعد لك في سبل الإصلاح، وسبل الصلاح سايبك، لأ، فيه ناس هتنهاك حتى عن الصلاة.

"أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى" فربنا بيقول للي بينهى عبدًا إذا صلى دا: "أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى" العلق١١:١٢، مش جايز اللي أنت بتنهاه ده يكون هو اللي صح؟ وشوف الخطاب، واحد بيعادي الإسلام، وشوف الخطاب! ربنا بيقوله ايه، عارف زي في

[8] صحيح النسائي



سورة سبأ: "وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" سبأ:٢٤، ربنا بيقولهم: أنت تقولهم: واحد فينا صح وواحد فينا غلط؛ لأن مينفعش حاجة اسمها اتنين صح.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد –صلى الله عليه وسلم–؛ يبقى مرة تانية السورة دي بتديك البداية الصح، واللي هيبدأ من غير سورة العلق هيضل، البداية: أد ايه الإنسان فقير، وأد ايه الإنسان عاجز، وأد ايه الإنسان جاهل، البداية: أد ايه ربنا قدير، أد ايه ربنا كريم، أد ايه ربنا حليم على هذا الإنسان الذي يطغى، البداية إن الأسباب، يا جماعة دي البداية يعني ٦٢٠٠ آية وشوية و١١٤ سورة دي البداية، بداية هذا الطريق الطويل، يعني دي أسس، يعني دي العمود اللي بيغيب منها انهيار، يعني زي ما في أركان، وفي واجبات، وفي سنن، دي أركان، دي عواميد مينفعش تغيب عن قلوب الناس وعن أفعالها.

بداية من غير صلاة بداية لا تثمر

البداية إن فيه ناس مش هتسيبك، البداية إن الناس دي هتنهاك حتى عن الصلاة، والبداية أهمية الصلاة، اللي بدايته مفيهاش صلاة قوية سواء في الفروض أو في قيام الليل دي بداية ضعيفة، بداية لا تُكمل!
"عَبْدًا إِذَا صَلَّى"، وربنا أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– في الآخر بالسجود "لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ"، كأنها "وَاسْجُدْ" أي: واستمر في السجود، يعني كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يُديم السجود، ودي البداية، فبداية من غير صلاة بداية لا تثمر، يعني إنسان لا يقرأ القرآن في القيام، يعني لا يقوم الليل بالقرآن دي بداية ضعيفة هيكمل ازاي؟ مفيش بداية أصلًا مشرقة ولا محرقة، ولا أي بداية!
"أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى"، فنرجع بقى للخطاب ربنا بيقوله –للي بينهاه يعني–: "أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى" اللي أنت بتنهاه، مقالوش: بل هو على الهدي، وهو حتمًا على الهدى –صلى الله عليه وسلم–، شوف الخطاب، طب فكّر، طب مش جايز هو صح؟ زي ما مؤمن آل فرعون قالهم: طب فيه احتمالين:
"وإن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ" يعني "وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ" غافر:٢٨، بس فيه احتمال، والاحتمال التاني عواقبه مش سهلة، ففيه احتمال، فربنا يقول له: "أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى".
وفيه قول مش معناه إنه كنقاش عقلاني، ده معناه "أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى" أفتنهاه لأجل أن يصلي ولأجل أن يأمر بالتقوي؟ ألأجل هذا تنهاه؟ أي عقل تحتويه! وأي تفكير تفكر! يعني عشان بيصلي تقوم تنهاه! يعني "أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ" ليه؟ "إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ"! النمل:٥٦، ألأجل أنهم يتطهرون! ألأجل أنهم يصلون!
يعني فلان متشدد، ليه؟ أصله بيتكلم عن الدار الآخرة، بجد والله؟! فلان متشدد، ليه؟ أصل بيقول حرام وحلال، أمال نخليه الحلال والحلال؟ فلان متشدد، ليه؟ أصل بيقول كلمة كافر، طب ما القرآن مليان كلمة كافر، أمال كله واحد يعني ولا ايه، فتجد أنت بتنهاه ليه؟ عشان بيصلي!
المشركين في مكة فَزِعوا! فزعوا من صلاة أبي بكر في ساحة الدار، كان يصلي صوته يبلغ الناس، وكان رجل أسيف فكان النساء والصبيان بيجوا عشان يسمعوا صلاة أبي بكر، فخافوا من صلاته، شوف خافوا، الناس مش خايفة من دعوتنا، هم كان زمان صلاتهم تغير، مجرد صلاته، عشان كدا لما قوم شعيب حسوا إن هو اتغير، فقعدوا يدوروا ايه الحاجة اللي غيرته لقوها الصلاة، فقالوله: "أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ" كأن مفيش حاجة اتغيرت فيه غير الصلاة، والصلاة دي المحرك الأساسي اللي بيأمره وبينهاه، لقوا إن الصلاة بتغير فيه فعلًا، الصلاة بتأمر بالمعروف، وتنهاك عن المنكر، فقالوا: "أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ –كأن الصلاة اللي بتأمره– أَن نَترُكَ ما يَعبُدُ آباؤُنا أَو أَن نَفعَلَ في أَموالِنا ما نَشاءُ –



ايه اللي حصلك؟ ايه الحاجة اللي غيرتك دي؟ ليه الصلاة غيرتك كدا؟– "إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ" هود:٨٧، إما قيل: أي لكنت أنت الحليم الرشيد هو ايه اللي غيرك؟ أو استهزاء: "إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ"، فالشاهد كانوا ينهونهم عن الصلاة؛ كانت الصلاة بتغيّر ليس فقط في أنفسهم ولكن في غيرهم، تخيل لما مشهد الصلاة يغير الناس.

"أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى" العلق٩:١٣.

طب اللي بينهاه ده بقى طب هو بيعمل ايه؟ طب أنت شايف إنه وحش عشان بيصلي، طيب هو وحش أنت بقى بتعمل ايه؟ عارف لما يجي مثلًا مذيعة قمة التبرج وبعدين بتستضيف واحد إسلامي وهي الحلقة كلها إن هو وحش، وإن هو متشدد وجاهل ومخرّف ومخرّب وهيدمر الاقتصاد طيب ماشي هو وحش، أنا وحش، ايه الطرح بقى اللي عندك؟ يعني ايه البديل؟ أنا وحش، يعني زي سيدنا شعيب بيقولهم: "لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ" هود:٨٩ يعني مش معنى إنك تكرهني إنك تخش النار! يعني دلوقتي أنا وحش تقوم ترمي نفسك في جهنم! يا سيدي اعبد الله أنت، طبّق أنت الإسلام، فأنت دلوقتي أنت بتكرهني، طب اطرح أنت بقى الطرح، أنت بتقول مش هو ده الإسلام، خلاص، قول بقى، أمال الإسلام إن احنا نقلع يعني؟ طب أنا وحش ايه الطرح البديل؟ فربنا بيقوله: "أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى" طب هو عمل ايه غير إن هو كذّب وتولى، يعني هو ده البديل؟ يعني أنت بتنهاه وشايف إن هو ده البديل؟

"أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى" العلق:١٤، يبقى السورة دي حتى الآن فيها نوعين من التهديد:

الأول: "إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى"؛ ده يوم القيامة.

وطوال هذه الفترة "أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى"؛ الشعار ده يا جماعة ده مش بس حتى نخاطب به الأعداء، أنت لو شعارك قبل أي فعل بتفعله: "أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى". الشعور ده يدفع اللي بيعادي الإسلام أنه يخشى الله؛ يخوّفه من ربنا، إن ربنا شايفك، وربنا هيحاسبك على كل كلمة بتفعلها، وزاد للإنسان في الطريق إلى الله عشان يُخلص كلامه وأفعاله إلى الله –عز وجل–، تخيل شعارك في حياتك: "أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى" أنت مش عارف إن ربنا شايفك؟

"كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ" العلق:١٥، "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" الحج:٣٨، أبو جهل قال: "إني لأكثرُ هذا الوادي ناديًا"[٩]، محدش يعرف يعملي حاجة، النبي –صلى الله عليه وسلم– لما نهره وأغلظ له القول عند الكعبة، فقال: ألم تعلم بأني أكثر هذا الوادي ناديًا؟ لئن رأيتُ محمدًا يعفر وجهه بين أظهركم لأطأن عنقه، "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا".

"كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ" دفع بقوة ويؤخذ بناصيته ويُلقى في جهنم –والعياذ بالله–.

"لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ" العلق١٥:١٨، تنزُّل في الخطاب كأنه إذا كان عندك من الناس فإن هناك زبانية ينتظرونك، يدفعونك إلى جهنم دفعًا –والعياذ بالله–، وأنت لا تستطيع أن تدفع عن نفسك ولا النادي الذي معك يستطيع أن يدفع عنك.

"سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ" الزبانية أصلًا من الزَبن أي من الدفع بقوة.

"سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب" العلق١٨:١٩، يبقى ربنا في ختام السورة خاطب خطابين؛ خطاب للذي نَهى، وخطاب للذي نُهي، خطاب لأبي جهل وخطاب للنبي –صلى الله عليه وسلم–، خطاب لمن سار على درب أبي جهل، وخطاب لمن سار على درب النبي –صلى الله عليه وسلم–.

خطاب لمن سار على درب أبي جهل: اعلم أن الله يراك، وأن الله سيعاقبك، ولئن استمريت على ما أنت عليه سوف ينزل بك عقاب الله مهما كان معك من قوةٍ ومن أسباب، قضية الأسباب في السورة واضحة جدًا، الاستغناء بالأسباب وإن استغنى بما معه من أقوام كأبو جهل.

---

[٩] السلسلة الصحيحة.



خطاب للنبي –صلى الله عليه وسلم– ولمن سار على دربه: "لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ".

الجمال في ختام السورة إن أبو جهل قال للنبي –صلى الله عليه وسلم–: ماتسجدش، مقالوش حتى متصليش، قال: لئن رأيت محمدًا يعفر وجهه؛ يعني السجود فجه الأمر بنفس الشيء اللي نهاك عنه إنك تعمله؛ ده الأول.

يعني هو مثلًا ماتتكلمش في الولاء والبراء مثلًا، تقوم أنت تتكلم في ايه؟ مش في العقيدة في الولاء والبراء ركز؛ لأن هو لما بينهاك عن شيء هو عارف خطورته، تقوم أنت تعمل دا، هو لما ينهاك، لما يقولك مثلًا متتكلمش مثلًا عن أحكام الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، تقوم أنت تتكلم في أحكام الإسلام في التعامل مع غير المسلمين؛ هو لما بينهاك عن شيء هو مش بينهاك اعتباطًا ده هو عارف خطورة اللي بينهاك عنه، وعارف تأثير اللي بينهاك عنه، تقوم أنت تعرف ايه، يعني أحيانًا أنت مبتبقاش واخد بالك من قيمة حاجة إلا لما يقولك متعملهاش، انت مش واخد بالك من قيمتها أصلًا، فهو بيفيدنا، يعني هو لما يقولك متعملش حاجة أنت بتستفاد، بتعرف قيمة الحاجة دي بقى، بتعرف قيمتها، ولما ربنا قاله: "وَاسْجُدْ" عرَّفوا قيمتها، قاله: "وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب" يبقى أحيانًا أنت مبتبقاش عارف قيمة اللي أعداء اللي بينهوك عنه؛ لأن هو جرب تأثير ده في نفسه وفي غيره، هو عرف، يعني لما يقولوا: "لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ" فصلت:٢٦ هم عارفين تأثير القرآن، لما يقولوا له: "ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا" يونس:١٥، هم عارفين تأثير هذا القرآن؛ هو جربوا في نفسه وفي غيره، هو جربوا، فأنت عارف قيمة دا، فدا يجعلك تزداد تمسكًا بما نهاك عنه؛ دي النقطة الأولى.

النقطة التانية: إن مش مثلًا "كَلَّا لَا تُطِعْهُ" وجاهده وحاربه وخلاص ولا تنشغل به، وبعدين مش بس "وَاسْجُدْ" ده "وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب" دا ده معاني إيمانية عالية، يعني كأن انشغالك بعلاقتك بالله، وبالوصول إلى الله، وبالقرب من الله، شغلتك عن أي شيء آخر حتى لو كان تهديد بالقتل، أنت متخيل قصدي ايه؟ يعني شعورك إنك نفسك إنك توصل لربنا، وأخيرًا لقيت الطاعة اللي هتوصلك لربنا، فأول لما تلاقي طاعة هتوصلك لربنا تقوم ماسك فيها حتى لو كانت هذه الطاعة تحاط بمخاطر منها القتل. إحساسك وانشغالك بنفسك إنك توصل لربنا، شغلك عن أي شيء آخر، يعني مثلًا: قطر مثلًا هيوديك اسكندرية وأنت لازم تروح اسكندرية، فقالولك القطر ده عليه قُطاع طرق، وناس هتطلع، أنت بتسأل يعني الطريق ده هيوصلني؟ يقولك بس ده فيه ناس، يعني القطر ده بيوصَّل؟ بس خد بالك أنت لو ركبته هما يقولولك فيه ناس بتموِّت وأنت تقولهم يعني الطريق ده بيُوصِل؟ يعني الطريق ده بيقَرّب؟ يقولولك بس الطريق ده فيه مخاطر، تقولهم الطريق ده بيقرَّب؟ أنت انشغالك بقربك وبتحصيل أسباب القرب من الله شغلتك عن أي شيء آخر حتى لو كان تهديد بالقتل، أنت مشغول.

"واسْجُدْ وَاقْتَرِب" ربنا دلَّك على وسيلة القرب منه –سبحانه وتعالى– أفتنشغل عنها لأمر علقة؟ أبَعد أن دلني الله –عز وجل– على أمر يقربني منه –سبحانه وتعالى– أنشغل عن هذا الأمر، وعن قربي من ربي الذي خلقني وأكرمني؟ زي ما في أول السورة، أنشغل عنه لأمر شخص كائنًا من كان؟

والجمال زي ما كان د. حازم جزاه الله خيرًا كان بيعلمنا يعني، يقولك الجمال في شكل السجود بالذات، إن السجود ده وأنت ساجد دي الحالة الوحيدة اللي أنت ما أنتاش شايف فيها اللي اللي حواليك، يعني أنت صلي وأنت واقف لو جه واحد يضربك ممكن تتحرك بسرعة، وأنت راكع ممكن تتحرك، وأنت جالس وشايف ممكن تتحرك، إنما وأنت ساجد ده أنت قمة الاستغراق في الصلاة خلاص أنت مش شايف، يعني هو هيجي يموتني وأنا ربنا بيقولي: استمر على السجود، وكذلك فعل النبي –صلى الله عليه وسلم–، وثبت النبي –صلى الله عليه وسلم– ساجدًا، في حديث البخاري: يضَعوا عليه سلا الجزور وثبت النبي –صلى الله عليه وسلم– ساجدًا.

سرعة الاستجابة تأتي بالانشغال بالمعاني الإيمانية:



من جمال أيضًا الأمر في "كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب" إن السورة مبدأتش بـ "لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب" لأ، ودا الكلام عن تهييج المعاني الإيمانية بداخلك، بتديك الطاقة إنك تفعل هذه الأفعال، يعني الكلام "اقرأ" تتعلم وتقرأ القرآن، وتفهم وتقرأ عن صفات اللَّه، وتعرف أد ايه ربنا قدير، أد ايه ربنا كريم، وتعرف أد ايه الإنسان علقة، وأد ايه الإنسان جاهل، وأد ايه الإنسان عاجز، بعد كل هذه المقدمات لما ربنا يقولك: "لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب" تستطيع أن تطبق هذا الأمر بسلاسة.

زي ما أمنا عائشة قالت: "أوَّلَ ما نَزَلَ –من القرآن– منه سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ ولو –كان– نَزَلَ أوَّلَ شَيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا :لا نَدَعُ الزِّنَا أبَدًا"[10]

فالبداية قبل "لا تطعه": إنك لازم تعيش في معاني القرآن عشان تطبق هذه الأفعال، الأفعال دي مش زرار بتعمله جواك، لأ، الموضوع مش كدا، الموضوع لابد إنك تتعرض لـ "اقرأ"، لمعاني القرآن، وإنك تعامل ربنا –سبحانه وتعالى–، وتبدأ تصلي "عَبْدًا إِذَا صَلَّى"، وتبدأ تقف في وجه الأعداء شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، وتبدأ واحدة بواحدة، هذه المجاهدة وهذه المعاني بتخلي جواك القلب قابل لكلمة "لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب"، فلما تنزل "لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب" تقوم أنت تعمل ايه على طول؟ عشان كدا آية السجود، تقوم ساجد مباشرةً، خلاص أنت الآيات اللي قبلها كأنها سفلتت قلبك لقبول هذا الأمر، فلما يجي يقولك "لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب" معدش جواك أسئلة، معدش جواك طب ازاي؟ طب ما هو ممكن يضربني، طب ما هو ممكن يموتني، معدش الأسئلة، طب أصل المصالح والمفاسد، معدش الأسئلة دي جواك خلاص، الآيات اللي في السورة خلاص وطَّأت "أَشَدُّ وَطْئًا" المزمل:٦، وطأت داست على كل الأفكار السيئة والموسوسة اللي في قلبك، نسفتها نسفًا، تنزل هذه الآية تجد قلب يستقبلها، فتنزل بعد هذه السورة "لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب" تقوم تسجد وتقترب فعلًا، وتزداد قربًا من الله –عز وجل– بالسجود بعد هذه المقدمات.

ودي خطورة إن الإنسان على طول يبقى منشغل بمعاني القرآن فيبقى قلبه سريع الاستجابة، الإنسان المنشغل على طول بمعاني القرآن وبيحاول يجاهد نفسه على تطبيقها ويحاول يتخلق بأخلاق القرآن كما كان النبي –صلى الله عليه وسلم– خلقه القرآن، اللي بيحاول يفعل ذلك تجد قلبه وعقله وجوارحه سلس في الاستجابة لأمر الله –عز وجل–؛ لأن قلبه ممهد مفيهوش مطبات، مش مليان مطبات، لأ، قلب سهل ليّن في التعامل مع الله –عز وجل–، سمْح في قبول الأوامر والنواهي.

فدي كانت وقفات سريعة مع سورة العلق، أسأل الله –عز وجل– أن ينفعنا بها، ونسأله –سبحانه وتعالى– أن يمنَّ علينا بفهم كتابه –سبحانه وتعالى– وبالعمل بما فيه، وألا يحرمنا من تدبر كتابه –سبحانه وتعالى– ومن العمل بما فيه.

فزي ما قولنا، في الختام سورة العلق دي البداية الصحيحة، النظرة الصحيحة، العمل الصحيح، تبدأ بمعرفة قدر الإنسان والربوبية والخلق وقدرة الله المعجزة، أد ايه الأسباب بتحجب الإنسان عن صفات ربنا –سبحانه وتعالى–، هذا الطريق فيه من سيمنعك حتى عن الصلاة، مش بس الدعوة، هذا الطريق لابد فيه من جهاد، هذا الطريق لابد فيه من ثبات، هذا الطريق لابد فيه من سجود واقتراب، هذا الطريق لابد أن تُعرِضَ فيه وألا تطيع من يحاول أن يبعدك عن الله –عز وجل– ولو بسجدة، تبتعد عنه ولا تطعه، نسأل الله –عز وجل– أن يثبتنا وأن يستعملنا في طاعته، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك.

[10] صحيح البخاري


